الطفولــة المغتــالــة في الرواية العربية تطبيق وتنظير

د. م. محمد جري جاسم

مديرية تربية واسط

الملخص

إن لتجليات العنف-باختلاف تمظهراته- في مجتمعاتنا العربية حيزاً ملحوظاً، حتى أن ذلك التجلي ارتسم في الوعي الذهني العام للذات العربية بشكل أسهم في بروز تمثلاته في الكثير من الابداعات الفنية وغير الفنية، ولا ريب أن تكون للاضطرابات السياسية والحروب التي شهدتها المنطقة العربية الأثر الواضح في تشكيل ذلك، ومدى تأثيره على المخيلة الشفافة للطفل القابلة للتطور والتشكل كيفما يُراد لها، فضلاً عن ارتسام ذلك كله في المقتبل من أيامها كسلوكيات أو دوافع ذاتية توجه نشاطها نحو وجهات محددة، وبذلك برزت الرواية العربية-بما تمتلكه من سمات فنية قادرة على استيعاب التجربة-كأي نتاج فني تعبر عن تداعيات تلك المرحلة (مرحلة الطفولة المغتالة) وتشكلها في النص السردي بصورة هي الأقرب إلى تجلياتها في الواقع، وتفاعلاتها فيه. فالطفولة ليست مجرد مرحلة عمرية تمر بها الشخصية، بل مستودع ذكرياتها التي تنهل منها بين الفينة والأخرى، ما يبقي الطفل الغافي في داخلها نابضا بالحياة، ليرسم لها عاما جديداً له سماته الخاصة المتحققة بإسقاطات الطفولة الغائبة الحاضرة، من أجل ذلك كانت استرجاعات الشخصية لتلك المرحلة خالية-نوعاً ما-من التكلّف والمبالغة، إذ إنها كانت ذائبة في المتن الحكائي للنص ومبناه بشكل متلاحم ومنسجم، فكان الواقع المُستعاد بجزئيّاته الأليمة والمفرحة سبيل اكتشاف الذات بصيغة ما، والدليل أيضاً على غربتها الآنية في ذلك الواقع الذي شكّلت الخيبات والحروب والمصادفات أبرز ملامحه.

Childhood Assassinate

in the Arabic Novel)Applied-theoretical(

Searched by

Dr. Muhammad Jerry JASIM

Abstract

The phenomenon of violence - in different forms - in our Arab societies has a significant space, so that it has stuck in the general consciousness mind of the Arab self in a way contributed to its emergence in many artistic and non-technical creations, there is no doubt that the political turmoil and wars in the Arab region have a clear effect in the formation That, and its effects on the transparent imagination of the child can be developed and formed as planned it , As well as the attrition of all of this in the early days of the days as behaviors or self-motivation directed towards specific destinations, and thus the Arab novel grown up with its technical features that possess the ability to absorb the experience - like any artistic product that reflects to that's stage (childhood of the assassinate) and its forming in the narrative text In a way that is closer to its actual manifestations and interactions. Childhood is not just an age-old stage in which the personality passes through, but a repository of memories that it draws from time to time. For this reason, the personal retrieval to that stage was free of some exaggeration and exaggeration. It was the reality recovered by its painful and joyous parts, the path of self-discovery in some form, and the proof of its instantaneous alienation in that reality, in which disappointments, wars and coincidences formed the most prominent features.

الملخص

إن لتجليات العنف-باختلاف تمظهراته- في مجتمعاتنا العربية حيزاً ملحوظاً، حتى أن ذلك التجلي ارتسم في الوعي الذهني العام للذات العربية بشكل أسهم في بروز تمثلاته في الكثير من الابداعات الفنية وغير الفنية، ولا ريب أن تكون للاضطرابات السياسية والحروب التي شهدتها المنطقة العربية الأثر الواضح في تشكيل ذلك، ومدى تأثيره على المخيلة الشفافة للطفل القابلة للتطور والتشكل كيفما يُراد لها، فضلاً عن ارتسام ذلك كله في المقتبل من أيامها كسلوكيات أو دوافع ذاتية توجه نشاطها نحو وجهات محددة، وبذلك برزت الرواية العربية-بما تمتلكه من سمات فنية قادرة على استيعاب التجربة-كأي نتاج فني تعبر عن تداعيات تلك المرحلة(مرحلة

الطفولة المغتالة) وتشكلها في النص السردي بصورة هي الأقرب إلى تجلياتها في الواقع، وتفاعلاتها فيه. فالطفولة ليست مجرد مرحلة عمرية تمر بها الشخصية، بل مستودع ذكرياتها التي تنهل منها بين الفينة والأخرى، ما يبقي الطفل الغافي في داخلها نابضا بالحياة، ليرسم لها عاما جديداً له سماته الخاصة المتحققة بإسقاطات الطفولة الغائبة الحاضرة، من أجل ذلك كانت استرجاعات الشخصية لتلك المرحلة خالية-نوعاً ما-من التكلّف والمبالغة، إذ إنها كانت ذائبة في المتن الحكائي للنص ومبناه بشكل متلاحم ومنسجم، فكان الواقع المُستعاد بجزئيّاته الأليمة والمفرحة سبيل اكتشاف الذات بصيغة ما، والدليل أيضاً على غربتها الآنية في ذلك الواقع الذي شكَّلت الخيبات والحروب والمصادفات أبرز ملامحه.

مدخل:

تحتل موضوعة الطفولة، متمثلةً بالبدايات الأولى لنشأة الشخصية، حيزاً ملحوظاً في الأعمال الأدبية والسردية، إلا أن هذا الحيز على الرغم من سعته، لم يحظ باهتمام كبير من قبل الدارسين والنقاد، ذلك أن هذه المرحلة تعد الأساس لمستقبل الشخصية في عالمها السردي، كما يمكن النظر إليها كونها مجالاً للتداول الرمزي واللغوي والدلالي، وعليه يمكن أن تتحول من مجرد مرحلة عمرية في حياة الشخصية إلى علامة ضمن نسق من الماهيات والاختلافات، تتبلور ضمن العمل السردي، لتحدد أطرها ودلالاتها الرمزية في المتن العام للنص المسرود، كما أن أهميتها تتجلى في عدِّها جزءاً له ثقله في النص، وفي حياة الشخصية أيضاً، فهو الجزء من ذكريات حياتها الذي لا يزال يُسترجع في مفاصل محددة ضمن الحدث المسرود، وعلى وفق تقنيات فنية، أهمها المُذكرات المكتوبة التي تمنح النص بُعداً دلالياً واضحاً؛ لما تبثه من مصداقية وقصدية في حقيقة العاطفة التي تتضمنها مواقفها المدونة، إذ يكون المتلقي معها مطمئناً لكل كلمة يقرأها، فهي ليست ككل الخطابات السردية الأخرى التي قد لا تُشعِر القارئ بالاطمئنان، لاسيما تلك التي تكون مسرودة بالخطاب غير المباشر الحر، الذي يخضع لتعديل الراوي أو إضافة كلمات أحياناً، بل إنها مذكرات مكتوبة بقصدية واضحة من قبل الشخصية الساردة نفسها، بحيث أن الشخصية قد أودعتها ما لم تتحمل ثقله من عاطفة وألم، فوجدت أن تكتبه بشكل مذكرات للتنفيس عن عمق أزمتها أحياناً. وقد كان اهتمام هذه الدراسة بالرواية تحديداً؛ لما تتمتع به من كبر وسعة أهَّلتها أن تكون من أكبر الفنون السردية، إذ تُعدُّ فناً أدبياً له من العمق والاتساع ما يجعله من أكثر الفنون الأدبية قدرةً على تمثيل حياة الشخصيات بشكل كامل، وتتبع تلك الحياة منذ النشأة وحتى المراحل المتأخرة من عمر الشخصيات، وكذلك قدرتها على استيعاب تجربة الأديب، ذلك أن بناءها الفني يشمل أساليب التعبير الشعرية والقصصية والدرامية، وليس ذلك فحسب، بل تمكنها من إثارة المتلقي وتحقيق انفعاله الوجداني أيضاً. ولكن من الخطأ أن ننظر إليها على أنها تجسيد للواقع فقط؛ لأنها فوق ذلك تحقق موقفاً واضحاً منه، كونها الأقدر على رصد وضع شخصياتها داخل أُطُر مجتمعاتها التي تحيا فيها، وذلك من خلال ما تُجسِّده تلك الشخصيات من أدوار.

ومما لا بدَّ منه أن نلقي بالضوء على تحديد معنى الطفولة، وهو-بطبيعة الحال-مأخوذ من الطفل، والطفل والطفلة كما جاء في لسان العرب هما الصغيران، والطفل: الصغير من كل شيء، وقال أبو الهيثم: الصبي:

يدعى طفلاً حين يسقط من بطن أمه إلى أن يحتلم، والطفل: المولود[1]. من أجل ذلك يمكن عدّ الطفولة بأنها الأصل، أو البداية والمؤشر على النمو، وهي تشغل مرحلة عمرية تصل إلى ١٤ سنة، غير أن هنالك تبايناً ملحوظاً في تعريفها لدى بعض الدارسين، ومنشأ ذلك التباين هو اختلاف النظريات والمجالات المدروسة فيه، وحتى لا تقع هذه الدراسة في سورة استعراض هذه التعريفات، اكتفت بتحديد الطفولة في المراحل الأولى من حياة الشخصية في نصها السردي، والتي تبرز في النص بشكل تمهيد دلالي لولادة الشخصية وحياتها في الصغر، ومنطلقاً للمراحل العمرية المتقدمة من حياتها، مع تأكيد هذه الدراسة الإشارة إلى المُستويات المختلفة المؤثرة - بطريقة مباشرة - في هذه المرحلة العمرية من حياة الشخصيات، وعلى المجرى العام للسرد، أو على الأقل، المجرى الخاص للشخصية في نصها السردي ككل، وهذه المستويات تتحدد بـ(المستوى السياسي، والمستوى الاجتماعي، والمستوى الديني) لأن الشخصيات في المتون الروائية المنتقاة قد تأثرت، بدرجة كبيرة، بتفاعلاتها مع هذه المستويات التي غيرت مسار تفكيرها أحياناً، أو حددته، أو قلبت مجرى حياتها ككل، وكما سيتم إيضاحه في موضعه.

وتجدر الإشارة أن الاستعانة بمصطلح الاغتيال الذي تضمنه عنوان هذه الدراسة، جاء ليؤكد فكرة محددة يدور حولها موضوع البحث، ذلك أن معنى الاغتيال يقترب كثيراً من معنى القتل، أو أنه يتضمنه أيضاً، غير أنه قد يختلف عنه في كونه فعلاً يحدث في الخفاء أحياناً، دون علم الضحية به، ويكون منظماً له بشكل مقصود مسبقاً، من خلال بعض السياسات أو الإيديولوجيات التي تسبب في قتل طموح الشخصية وضياع كيانها في منزلقات متعددة ستفصح عنها الدراسة لاحقاً، هذا من جانب، ومن جانب آخر، فإن الشخصية الضحية قد تدخل إلى الفخ المرسوم لاغتيالها بشكل طوعي منها؛ لانتفاء الخيارات أحياناً، أو بشكل غير طوعي عندما تُجبَر على اتخاذ خيارات ومسارات تسبب ضياعها وتشتتها، وقتل كيانها ومستقبلها بصورة تشبه قتل الشخصية، عندما يتم تحويلها إلى شخصية أخرى، أو يُنظر إليها على أنها شخصية أخرى لا تنتمي في كل تفاصيلها للشخصية الأصلية. هذا فضلاً عن أن مصطلح الاغتيال بحدِّ ذاته، قد يتضمن المفاهيم الأخرى كالقتل والعنف مثلا، لاشتماله عليها كونها جزءاً من وسائله وممارساته التي يستعين بها لتحقيق تحطم الشخصية في كل ممارساتها تقريباً، أي أن مفهوم الاغتيال المُوظف في هذه الدراسة، لا يُراد به اغتيال جسد الشخصية وتغييبها تماماً في عالمها الخاص-في حال إذا نظرنا إلى الشخصية السردية كونها كياناً ضمن عالمها السردي-بل اغتيال وجودها الحقيقي الذي تحاول تحقيقه، واغتيال كل أمل لها في أن تكون كما تريد، واغتيال براءة طفولتها في أول مشاركة لها في الاندماج مع محيطها القامع لها الذي توأدُ معه كل اشيائها الجميلة. لذلك كان لتوظيف هذا المفهوم أثر كبير في استجلاء محنة الشخصية في نصها السردي، بما يحقق إنجازها على مستوى السرد، وتشكّلها أمام عيني المتلقي، فالصراع الذي تقاسيه هذه الشخصيات مع ذاتها، أو مع مجتمعها في عالمها المُتخيَّل، يخلق بناءً واضحاً لتلك الشخصيات، ويقدمها للقارئ بشكل يمنح جماليات أخرى للنص السردي ككل، ولتقنيات تقديم الشخصية تحديداً، ذلك أن هذه التقنية -تقنية الصراع في تقديم الشخصيات- تختلف تماماً عن التقنيات السردية المعروفة كالحوارات، أو الخطابات المسرودة أو غيرها، ومحور الاختلاف يكمن في كون الشخصية مع هذه التقنية، تتبنى بشكل تلقائي وعفوي أمام عيني المُتلقي، هذا من جانب، ومن جانب آخر، إنها

تُفعِّل دور المتلقي، وتُبعِده عن السلبية؛ كونها تسمح له في تشكيل الشخصية في ذهنه تبعاً لما يشاهده من صراعات مصيرية لها، تتركه يتتبع كل ذلك بالانبهار والدهشة، مما يسمح-في الوقت نفسه- بإنجاز الشخصية واكتمالها على المستوى العام للسرد، وبالتالي تتحقق جماليات النصوص السردية، في قدرتها على الامتاع والإدهاش، فضلاً عن ما يتجسد في أنساقها المضمرة من إيديولوجيات تحاول تمريرها بشكل غير مفضوح إلى المتلقي، من أجل إحداث التأثير فيه.

من أجل ذلك ارتأت هذه الدراسة الإفصاح عن ذلك بدراسة زاوجت بين التنظير والتطبيق، بغية تقديم رؤية أوضح لأزمة الشخصيات السردية في مرحلة الطفولة، ومدى تأثير ذلك على المراحل التالية من حياة الشخصية، وعلى المسار العام للسرد، فضلاً عن تطلع هذه الدراسة إلى لفت الانتباه إلى دراسات جديدة تتناول هذه المرحلة العمرية من حياة الشخصيات لها من الاتساع والعمق ما يُمكنها من الانتهاء بمخرجات جديدة ونتائج لطيفة.

المبحث الأول- المستوى السياسي

يتحدد هذا المستوى في عمليات التدمير والسحق أو التشييء أو الإقصاء من قبل السلطة لفئة جماهيرية محددة ضمن مجتمع ما، وإبان ظروف راهنة، معتمدة في ذلك على سبلٍ معينة وإيديولوجيات قادرة على تحقيق أهداف سياسية، من شأن ذلك كله إحداث تغيير أو تحويل في مجرى حياة تلك الفئات المقموعة سياسياً، أو إقصاء وجودهم. بمعنى آخر، هو ((اللجوء إلى القوة ضد الأشخاص [...] لإحداث تغيير في وجود الأفراد في المجتمع، وربما في مجتمعات أخرى))[٢].

إن هذا القهر السلطوي عندما يكون موجهاً ضد الأفراد أو الجماعات التابعة والخاضعة يُعدُّ من أعنف مظاهر القهر السلطوي وأشدها وطأة على حياة الافراد، كونه الأقدر على سلبهم متعة الحياة الهانئة، ولكونه صادراً عن قوى أكبر وأعنف ليس بمقدور أي فرد ردعه. وبذلك غالباً ما يؤدي إلى فعل التهديم في حياة الأفراد المضطهدين، أو تدميرهم، أو على الأقل اغتيال آمالهم وتطلعاتهم المستقبلية. ولابدَّ من التأكيد ان هذا الاضطهاد السياسي والقمع السلطوي للأفراد يرتبط بدرجة كبيرة بالواقع السياسي والاجتماعي وحتى الأسري الذي يحيا فيه الطفل، كونه جزءاً من ذلك الواقع، كما أن الأطفال الذين يعيشون تحت ظروف الحرب أو الاحتلال أو الاضطرابات السياسية من المؤكد أن يكونوا الأكثر عرضة من غيرهم لأشكال العنف السياسي الموجه ضدهم، فوجودهم مهدد بالفناء، وأرواحهم معرضة للاغتيال، وطموحاتهم وتطلعاتهم مقتولة مسبقاً، أو مخنوقة تماماً. ومن جانب آخر فإن ((ظاهرة الدولة السياسية اصطنعت لنفسها طوال تاريخها وجهاً خاضعاً لنوع من السادية))[٣]، وإن هذه السادية ماهي إلا رد فعلٍ لما واجهته الدولة وتواجهه من تحديات خارجية، واضطرابات سياسية تؤكدها تحالفات ضد وجودها.. ولمَّا كانت الدول العربية هي الأكثر عرضة لتلك التحديات تبعاً لظروف وعوامل عديدة - لسنا بصددها الآن- لذلك كانت أكثر حساسية إزاء أي شعور بالتهديد، سواء كان داخلياً أو خارجياً، لاسيما إزاء الفئات الجماهيرية من مجتمعاتها التي تشترك ببعض الصفات مع أعدائها، لشعورها المستمر بعقدة المؤامرة. ولمّا كان الأديب جزءاً من ذلك الواقع فقد حاول من خلال نتاجه الأدبي أن يرسم

تداعيات ذلك الواقع على نفسه، وحساسيته تجاهه بشكل فني قادر على استيعاب الأزمة، لذلك كانت رواية (حارس التبغ) قد حاولت الإفصاح عن ذلك وهي تتعقب حياة طفلٍ، ذنبه الوحيد، وجرمه غير المقترف أنه نشأ في ظل ظروف سياسية مأزومة في بلده العراق. إذ أن أحداث الرواية منسوجة بعناية حول مسألة الإبادة الإثنية للأقليات*، أو اضطهادها من قبل السلطات المتعاقبة في الحكم على العراق/فضاء الرواية، إذ تبدأ طفولة الشخصية البطلة في الرواية (يوسف سامي صالح) العراقي اليهودي، إبان مرحلة التآمر اليهودي على العرب، من أجل احتلال جزء من فلسطين، ومنحه لليهود بغية إنشاء دولة إسرائيل، الأمر الذي جعل من اليهود- وهم الأقلية في العراق- فئة غير محبوبة من قبل المجتمع العراقي، والمجتمعات العربية ككل، وكذلك من قبل السلطات الحاكمة أيضاً، فتقوم السلطة، على إثر ذلك، بطردهم خارج البلاد ومصادرة جميع ممتلكاتهم[٤]، كإجراء انتقامي – ظاهراً- ضد اليهود لتعديهم على الأراضي العربية، وطرد شعبها. أمّا ما حدث فعلاً على أرض الواقع، فهو على خلاف ذلك، إذ أسهمت هذه الممارسات في تشكيل النواة الأولى للدولة الإسرائيلية؛ كونها وفرت للصهاينة الشعب اليهودي الذي تمَّ تسفيره بالقوة من البلاد العربية إلى تل أبيب.

حرص علي بدر/المؤلف، ومنذ الأوراق الأولى من روايته، على أن يرسم صورة واضحة لطفولة الشخصية الرئيسة (يوسف سامي صالح)، تلك الطفولة المسحوقة التي خلقت الأبعاد السلوكية والتوجهات الفعلية للشخصية فيما بعد، وشكَّلت أيضاً تطلعاتها وأفق تفكيرها، حتى أصبح يوسف سامي صالح أكثر شخصية مثيرة للجدل في المجتمع العراقي والأمريكي أيضاً.

تشكَّلت طفولته المضطهدة في مجتمعه اليهودي الصغير المخنوق بأسوار المجتمع العراقي، فمنذ طفولته الباكرة أحسَّ يوسف سامي صالح بقساوة هذا الإطار المجتمعي، ومدى شراسته، فقد كان قليل الاندماج فيه؛ كونه من الأقلية اليهودية غير المحببة، بسبب التراكمات التاريخية التي تركها اليهود في الذهنية العربية الإسلامية تحديداً، لاسيما بعد اشتداد تأزم العلاقات العراقية والبريطانية التي أشارت إليها الرواية بالحرب العراقية البريطانية، وحدوث (الفرهود) لبيوت الطائفة اليهودية؛ كونهم على الديانة نفسها لديانة العدو[٥]، وكان ذلك بتشجيع من السلطة الحاكمة التي عملت على طرد اليهود من البلاد، ومصادرة جميع ممتلكاتهم. لم يكن ذلك الاقصاء وعدم الاندماج هو من خلق طفولة مأساوية ليوسف العراقي اليهودي، بل ان الحادث الأكثر إيلاماً له هو نهب بيت خالته (مسعودة دلال) وإحراقها مع بيتها أمام عينيه بكل وحشية، هذا الحدث يصفه البلاك رايتر المكلَّف بتتبع حياة يوسف سامي صالح بأنه: ((قد حطَّمَ إلى حدٍّ بعيد حياة يوسف وقضى نهائياً على كلاوس ابنتها.. كما ان هذه الحادثة قد غيرت حياة الناس جميعاً في بغداد، ويمكننا أن نقول هي نقطة فصل حقيقية في تاريخ هذا المجتمع فهي التي فتحت الباب على الاعتداء الأهلي[...] ويمكن أن نرد كل اعتداء أهلي في بغداد اليوم إلى ما حدث في العام ١٩٤١...))[٦] تتحدد عمق الأزمة في هذا الاقتباس بالعبارة الأولى: (قد حطَّمَ إلى حدٍّ بعيد حياة يوسف)، إذ لم يكتفِ المؤلف بالعمق الدلالي لفعل التحطيم، بل انه منح الفعل عمقاً دلالياً أكبر حينما شفعه بكلمة "بعيد" التي تُغدِق على النص سعةً وعمقاً دلالياً واضحاً، لما لها من ايحائية على امتداد أثر الفعل أطول مدة في حياة الشخصية.

إن هذه الحادثة لم تكن لتغيب عن حياة الشخصية اطلاقاً، إذ نرى يوسف سامي يدونها بشكل مفصل وواضح في يومياته التي وصلت إلى يد البلاك رايتر، فيوسف قد دوَّن تفاصيل الحادث من أول صرخة يهودية وحتى الأحراق النهائي للبيت، وما جرى من سلب ونهب: ((كان يوسف قد استيقظ صباحاً، استيقظ مثل كل يوم بعد أن جرب لحناً أو لحنين[...] فجأة سمع صرخة عارية[...] لقد شاهد يوسف تلك اللحظة النار وهي تشتعل في المنزل المقابل وهو منزل خالته[...] ينظر المشهد الذي يتكون أمامه دون أن يكوِّن عنه أفكاراً على الاطلاق[...] فاغراً فمه وهو يرقب العربنجية والحوذيين الذين يمسكون القمجيات ويبدون استعدادهم لحمل المسروقات لمنازل السارقين[...] كان يسمع صراخ اليهود الأجش والمتحشرج، صراخ الموت، دون أن يكون أفكاراً أبداً))[٧].

ترددت عبارة (دون أن يكون أفكاراً) مرتين؛ كي توحي بعمق الصدمة للشخصية وشدَّة ذهولها من هذه الممارسة التي تجلَّت بشكل رسالة واضحة التشفير تتضمن العنف والاضطهاد، موجهة ثقلها نحو الأقلية اليهودية التي مثلتها الشخصية بدلالة واضحة. ولو نظرنا إلى هذه الحادثة مع سياقها الزماني والمكاني لوجدنا أن لها بعداً دلالياً أعمق من مجرد كونها حاثة سردية اعتيادية، تحدد ذلك بوجود مُحركات خفية متحكِّمة بالذهنية العامة للجماهير الثائرة، ومتحكمة أيضاً بمصيرهم ومصير الفئات المقموعة الأخرى، هذه المحركات تحددت بالفئة السلطوية المسيطرة على المناخ العام والمتحكمة فيه، وهي مفاهيم حاولت أن تثيرها هذه الممارسات القمعية التي تجسدت في مخيلة الشخصية، وانطبعت في ذاكرتها، لترسم خوفها وهلعها من هذا الواقع الذي باتت فيه الذات منسحقة وخائفة

إن هذا التأكيد من يوسف سامي صالح على كتابة مذكراته لحادثة الإحراق بشكل مفصَّل يجسد بوضوح الأثر الذي تركته هذه الحادثة في حياته، حتى أنه تمكن فيما بعد من الوصول إلى كيفية للانعتاق من ثقلها على نفسه، والخلاص من كبتها، هذا السبيل هو تدوينها على الورق كمذكرات بعثها لزوجته فريدة، ذلك أن حاثة الإحراق: ((أبداً لم تكن حادثة اعتيادية على الإطلاق، بل كانت هذه الحادثة هي التي صنعت له الخوف والرعب المُذِل والمُهين، صنعت له الجو المتوتر والمشحون والذي قضى على الطقس المسائي العائلي))[٨]. إن هذا الخوف والرعب الذي كان يشعر به في طفولته لم يكن إلّا من مجتمعه الذي يحيا فيه، إذ عليه بعد ذلك أن ينتظر نهاية مماثلة لعائلته ربما، أو لأي عائلة يهودية أخرى، لذلك فقد وصف البلاك رايتر شعور الخوف ليوسف سامي صالح في تلك اللحظة بأنه خوف يقوم على الإحساس بالذل والإهانة، فكونهم أقلية تعيش داخل كيان أكبر منهم، تجعلهم يشعرون بالصِغَر؛ لعدم تمكنهم من المطالبة بحقوقهم، أو رد الاعتبار إليهم، على الأقل في تلك المرحلة للوجود اليهودي.

إن طفولة يوسف سامي صالح التي شَهِدَت بعض التقلبات السياسية لبلده العراق، فضلاً عن طبيعة مجتمعه اليهودي المُسوَّر بمجتمع أكبر منه وأعنف هو المجتمع العراقي، خلق لديه قيوداً كبَّلت بعض طموحاته، فهو يخاطب زوجته فريدة في إحدى رسائله مُستذكراً هذه الطفولة: ((أن تعيشي في منطقة يهودية، في التوراة مثلاً، هذا يعني أنك تعيشين يهودية خائفة ومترددة؛ لأن هناك محيطاً أكبر منك...))[٩]إن هذا الخوف والتردد ليوسف

ولأي يهودي آخر يعيش في منطقة التوراة متولد من توجس خطر واستشعار تهديد من الممكن أن تشتعل نيرانه في وقت ما. وفعلا يتحقق ما كان مُتَخَوَفاً منه عندما أصدرت الحكومة العراقية مرسوماً بطرد يهود العراق خارج الحدود، ومصادرة جميع ممتلكاتهم الشخصية، فتعم الفوضى آنذاك، ويحصل الفرهود لبيوت اليهود، ويموت اسم يوسف سامي صالح متلاشياً، ويبقى ذكرى أليمة تحكي طفولة قاسية لهذه الشخصية التي ترتدي لباساً جديداً لهوية جديدة أخرى تمكنه من دخول العراق مرة أخرى، كي يلملم شتات تلاشيه في بلد طفولته المغتالة...

إن الطفولة المخنوقة التي نشأ عليها البطل في صغره قد شوهت لديه الواقع، ورسمته بملامح الخوف والرعب من الخارج، لذلك لم يكن يمتلك الجرأة في أن يحيا بحرية أكبر، لذلك لم تتكلم الرواية عن أي ملامح لطفولة فاعلة ومؤثرة خارج حدود بيته، فاندماجه في محيطه الخارجي لم يكن متحققاً، فقد كان يتطلع إلى ذلك المحيط أما من خلال رفقته اليومية لوالده، أو من خلال نافذة بيتهم التي يطل منها على الخارج، مما يؤكد غياب أي تفاعل إيجابي أو اندماج اجتماعي لطفولة الشخصية التي ظلَّت مخنوقة طوال سنوات نشوئها، كل ذلك كان مثبتاً على الورق يوميات وذكريات دونها يوسف سامي في مرحلة ما من عمره عندما كبر، ألقت بضيائها على مدى ما كان يعانيه في صغره، إلى درجة أنه لم ينسَ كل تلك الآلام والمعاناة، بل ظلَّت محفورةً في كيانه، تمزق احساسه بواقعه المرير، وترسم حياته ومستقبله بكل حذر وتوجس. فطفولته مخنوقة، ومستقبله مجهول، ومُتَخَوفاً منه، لذلك كان لا يقوى على الإفصاح عن دواخله ومكنونات مشاعره واحاسيسه إلّا بشكل موسيقى يُعبّر فيها عن كل آلامه ومآسيه، يعزف موسيقاه كمتنفس لصوته المكبوت، ولطفولته المغتالة على يد شراسة محيط لم يخنق بطوقه منطقة التوراة، بل خنق طفولة يوسف سامي صالح، ولم يكتفِ بذلك، بل أنه اغتال جسده أيضاً، عندما وجِدَتْ جثته مرمية على مقربة من جسر الجمهورية على نهر دجلة، بعد أقل من شهر على اختطافه على يد جماعة مسلحة[١٠]، ليتلاشى من الوجود تماماً، باقياً ذكرى مكتوبة على أوراق الوأد والحرمان..

المبحث الثاني- المستوى الاجتماعي

إن الانسان بطبيعته كائن غير انعزالي، فهو يحاول أن يندمج مع الافراد الذين يتماثلون معه لوناً وعرقاً ودیناً، من أجل تشكيل بناء مجتمعي أكبر يكون الأقدر على مواجهة أي تحدٍّ خارجي من الممكن أو يواجه كيانه المجتمعي من قبل الجماعات غير المتماثلة معه في كثير من صفاته. ويقوم ذلك البناء الاجتماعي على مبادئ وأُسس وإيديولوجيات تُحتِّم على أفراده احترامها والانسجام معها، وهي أيضاً تتكفل ببقاء الاندماج والتلاحم ضمن ذلك المجموع المتماثل. لكن، في كثير من الأحيان، قد تنشأ داخل ذلك المجموع المتجانس، وفي ظل ظروف محددة، فئات جماهيرية تنبثق منه، لكنها غير متماثلة مع بعض صفاته الجوهرية*المشكِّلة لهويته، الأمر الذي يستدعي، في بعض الأحيان، محاولة اقصاء تلك الفئات، أو التعالي عليها، أو تنحيتها عن نسيجه المجتمعي المتماثل والمتجانس، كما هو الحال في بعض البلدان التي لا تشعر أن سر قوتها يكمن في عدم تماثلها، ذلك أن التماثل المطلق للتكوينات المجتمعية غير متحقق تماماً، فهو – التماثل المطلق- ليس سوى تخيل ذي طابع

فردوسي[١١]، كما أن أصل التطور لأي مكون مجتمعي هو التفاوت واللا تماثل، تماماً كما أن مبدأ التباين هو الاختلاف والمغايرة[١٢]، الأمر الذي يترك هذه الفئات، التي تكون في كثير من الأوقات أقليات تشعر بالقهر المجتمعي جرّاء ذلك الاقصاء، فتكون أقرب الى الامتثال مع معاييرها الذاتية من معايير المجتمع الذي سبب إقصاءها، مما يحقق عزلة نفسية واجتماعية، وعدم قبول لها بالوضعيات المفروضة، فتظهر على سطح ذلك المجتمع مشكلات اجتماعية، أهمها مشكلة الهوية والانتماء الحقيقي، وغياب التلاحم الاجتماعي لجميع فئاته، والصراعات والاستفزازات التي قد تنشأ بين الفئات المتماثلة التي تشكل أكثرية والفئات غير المتماثلة التي تشكل أقلية، ويكون منشأ تلك الصراعات هو الإحساس بالاستعلائية والتسلطية على الفئات المقهورة والمضطهدة. لذلك يمكننا القول إننا نريد بالمستوى الاجتماعي للطفولة المغتالة كل ممارسة تحمل صفة القهر النفسي والاضطهاد المجتمعي للطفل ضمن أي فئة جماهيرية محددة في مجتمع ما، وتكون تلك الممارسات موجهة من قبل فئة جماهيرية أخرى، أو مؤسسة اجتماعية، أو أي كيان مجتمعي آخر يمتلك صفة الاستعلائية أو التسلطية أو الهيمنة، على الفئات أو الافراد غير المندرجين في تماثلٍ معه، ويبقى الأثر النفسي لتلك الممارسات على حياة الطفل إلى المراحل التالية من عمره. ولمّا كانت التنشئة الاجتماعية تسهم بدرجة كبيرة في تشكيل ثقافة الطفل منذ أول ولوج له في كيان ذلك المجتمع، فإن أي قمع أو اضطهاد للطفل من شأنه أن يلحق الضرر في حياته كاملة، لاسيما إذا كان ذلك القمع والقهر المجتمعي لا يزال يُشعره بعدم اندماجه أو تماثله. وهو ما حاولت رواية (لأني أسود) الإفصاح عنه بشكل واضح، فقد سلَّطت الضوء على محنة الطفل (جمال) ذي البشرة السوداء، الذي جاء للحياة معلناً عن ولادته بصراخه من المستقبل الذي سيثقل كاهله بإرثٍ عنصري، وتمييز عرقي يحوله إلى كائن آخر ترتسم على محياه إمارات الوأد والحرمان: ((مثل كل الأطفال ولدتُ أصرخ.. هم يصرخون المستقبل المجهول، وأنا أصرخ المستقبل المعلوم الذي صفعني لحظة لفظني رحم أمي ورمى بي في أحضان يدٍ بيضاء[...] لم يختر جسدي الصغير لونه. جئتُ كجميع أبناء جلدتي بعد أن قررت جيناتي..

أني أسود. لحظتها ... أصدرت حنجرتي صراخاً شقَّ سكون المكان.. خشية مستقبل ينضج بالاختلاف.. محمَّل بإرث عنصري لا فكاك منه...))[١٣]. إن محنة الشخصية لم تتأتى من عقدة السواد حتماً، بل تحددت بالعبارة الأخيرة من الاقتباس السابق وهو الخوف من مستقبل محمل بإرث عنصري، يبنى على صفة السواد له، لذلك جاءت عبارة: (بعد أن قررت جيناتي) محملة بثقلها العاطفي المأزوم لتلقيه على جملة (أني أسود) لتأكيد حجم هذا الثقل، وتجليته للقارئ الحصيف الذي لابدَّ أن يتوقف على ثقل هذه الجملة المختومة بالنقطة، وكأن جمل الاقتباس كلها لهثت راكضةً لترمي حمل دلالاتها على هذه الجملة؛ كي تمنحها عمقاً عاطفياً، وسعة دلالية قادرة على تجسيد حقيقة مشاعر الشخصية من عقدة السواد.

إن هذا المحمول الموروث لمجتمع الشخصية هو الذي سيرسم -حتماً- مستقبلها المعلوم وليس المجهول، مستقبل يقوم على الوأد والحرمان في مجتمع يغتال فيه كل من لا يماثله لوناً أو عرقاً، مجتمع يتسم بالشراسة قطعاً، يغيب فيه قانون الإنسانية والعدالة، ويحل محله قانون مبني على موروثات يستمد وجودها من مخيلة

جماهيرية نَمَتْ وتشكَّلت من أوهام أو خرافات ترسَّبت في قاعه منذ الأزمان القديمة قدم البشرية، وهي أكثر تماثلاً مع قوانين الغاب التي تقصي من قطيعها بشكل راديكالي كل من لا يجانس صنفها الحيواني، أو تعمل على استعباده أحياناً، أو اغتياله: ((إرثٌ اعتاد أن يلبس السواد [...] كما اعتاد أن (يسلب) الأرواح السوداء مُلكها. يستعبدها.. ينبذها.. يقتلها إن دعت الحاجة))[١٤]. في هذا الاقتباس تفصح الرواية صراحةً عن عقدة السواد المُتشكِّلة في واقع مرير هو الاستعباد للغير، أو سلبهم، أو حتى قتلهم عند الضرورة. كل هذا يثقل كاهل الشخصية منذ اللحظة التي أبصرت فيها اختلافها، ولمعان سواد جسدها بين بياضات الواقع المُحيط لها. فتبرز تساؤلات عديدة تقفز في ذهن الشخصية(جمال) لا تفصح إلا عن عمق الأزمة النفسية لهذا الكائن الجديد في حياة تقوم على التناقضات. تساؤلاته تلقي بالضوء على خوفه من اغتيال طفولته أو تشييئه إلى كائن آخر قد لا ينتمي إليه إطلاقاً. لكن عليه أن يتمَثَّله في سلوكياته، كي يرضي مجتمعه، لأنه أسود: ((هل استخدم ألفاظاً تصف (سوادي)؟ أم استبدلها (بسمار) لا علاقة لي به؟!

هل يحق لي أن أكون أنا؟! أم لابدَّ من أن استعير تقاطيع أخرى))[١٥].

هذه التساؤلات تتجلى لحظة وعي الشخصية بموقعها في مجتمعها الذي مارس عليها النبذ منذ ولادتها، ولا يزال يُشعرها بذلك النبذ وعدم التَقبُل؛ لعدم تماثلها معه، وعليها إذن أما أن تقوم هي بوأد نفسها وكيانها وتتقمص دور الأسود العبد المغلوب على أمره، أو يصيّرها المجتمع إلى ذلك رغما عنها، وفي الحالتين كليهما يكون كيانها مخنوقاً، وطفولتها مُغتالة على يد مورثات مجتمعية قاهرة: ((- في الكويت ينعتونك بالعبد؟ كل أسود في الخليج هو مشروع عبد))[١٦].

تتبلور، من كل ذلك، مشاعر عدم الانتماء للطفل جمال، وتتجلى بشكلها الأول منذ دخوله إلى الحضانة، وذكرياته الأليمة فيها، فهو يرى ذهول الآخرين من ملامحه، ونفورهم عنه، الأمر الذي يُشعِرَه دائماً بوحدته في منتصف باحة دار الحضانة أمام لعبه، واحساسه بالنبذ: ((هكذا يفعل الجميع معي أيضاً.. يتسمرون أمام ملامحي التي تحثهم على لمسها والعبث فيها.. حالات الذهول التي تصيب جميع الأطراف، جاءت لاحقة لحالات الهلع في أيامنا الأولى في الحضانة[...] تقلَّصت لحظات الذهول مع التحاقي بمرحلة رياض الأطفال لتحل محلها تساؤلات عجزت عن الإجابة عنها[...] لماذا لا تستحم؟))[١٧].

تضمنت العبارة (لماذا لا تستحم) براءة الطفولة وعنف الخطاب الذي يتضمن إشعار الطفل (جمال) بالنبذ وعدم التماثل، وكأنهم يتساءلون: لماذا أنت أسود؟! أو لماذا أنت مُختلفاً عنا؟!. لذلك يمتثل (جمال) لهذا السؤال امتثالاً يتلاءم مع براءته، فيظل في الماء مُستحمًّا من أجل أن يصير متماثلاً مع ألوانهم، ولكن يأتيه نداء أمه كي يرجعه ويثنيه عن تحقيق هذا الطموح:

((- لن يتغير شيء ياعزيزي..

- سأظل في الماء إلى أن أصبح نظيفاً مثل أصدقائي.

- لن تصبح نظيفاً مثلهم لأنك نظيف مثلي.

ولم أجرؤ أن أقول لها: أرغب أن أكون نظيفاً مثلهم، لا مثلك))[١٨]. يجسد هذا الحوار عمق الأزمة لدى الطفل، وإحساسه بالدونية والإقصاء من قبل أقرانه، الأمر الذي يخلق لديه كبتاً لمشاعره وطموحاته، بل كبتاً وإخراساً لصوته وطفولته أيضاً؛ لأنه في أية لحظة يحاول فيها الاندماج مع الآخرين سيقابل بالإقصاء؛ لأنه بذلك يقوم بلفت الأنظار إلى عدم تماثله، مما يستدعي سخرية الآخرين من سواد بشرته، أو جرحه، مرة أخرى، بتساؤلاتٍ تُجهض كل أمل له بالاندماج مع محيطه المجتمعي، في الوقت الذي هو في غنى عن ذلك كله، فيظل بعيداً عن الاندماج، منحسراً على نفسه، فيتضخم ذلك الكبت لديه إلى درجة كبيرة تُشعره بلا إنسانية واقعه المجتمعي.

إن كل المجتمعات الإنسانية لا تتوانى عن فرض قوانين تُحرّم ارتكاب جرائم القتل بحق أي إنسانٍ بريء، وتفرض العقوبات على ذلك من أجل منع وقوعها وردعهم من ارتكابها، وما ذلك إلا لحفظ كرامة الانسان أولاً، واستتباب الأمن العام ثانياً. لكن تلك المجتمعات نفسها تقتل، وبلا توانٍ، وجود الكثيرين، عندما تغتال طموحاتهم وتسحق كيانهم، تحت مسميات مختلفة، وتبعاً لموروثات غريبة تؤكد عدم تحضُّر مجتمعات تدعي الحضارة.

تنقتل طموحات الطفل (جمال) في أن يكون كما يرد، ويجد أن أباه (فوزي) مقتول أيضاً على يد النظرة الدونية لمجتمعه، وكأنه ورث لعنة لا جدواه من تلك البشرة السوداء لأبيه، فها هو فوزي يدون لابنه جمال مذكرات طفولته المريرة التي قاساها في المجتمع الكويتي ذاته المحيط بأسواره وأغلاله حياة الطفل جمال. كأنه -بتلك المذكرات-يواسيه مؤكداً لهُ، أنه ليس الوحيد الذي يعيش آلام هذه اللعنة، بل أن الكثيرين مثله أُغتيلت أحلامهم وطموحاتهم، كما أُغتيل كيانهم، وأصبحوا مجرد نسخ تتكرر لنسخة العبد الأسود المنبوذة: ((لدورة المياه في المدرسة حاجة أخرى لدي فيها أتلاشى عن حصة الجغرافية قبل استعراض صور قارة أفريقيا.. لأتجنب سخرية زملائي من ضخامة ملامح أجدادي))[١٩]. التجنب والهروب معانٍ تضمنتها هذه الذكريات ترسخ شعوره بلا تماثله مع الآخرين، وبالتالي تلاشيه: ((أتلاشى عن حصة اللغة العربية قبل التغني بعنصرية المتنبي: لا تشتري العبد إلا والعصى معه إن العبيد لأنجاس مناكيد[...] متوقفاً عند سواد الإخشيدي بابتسامة ماكرة، فخورة بعنصرية المتنبي، وعبقرية كلماته الثائرة المنتقمة من اختيار الله متجاوزا كفاح الإخشيدي الذي تحول من مجرد عبد، مخصي يباع في سوق النخاسة، الى قائد حكم أجمل البلاد وأشهرها. تكبلني تلك اللحظات تحبس الريق في مريئي، تصلب أجفاني[...] اتناول القلم أكتب كلاما لامعنى له.. هربا من عيون زملائي التي اشعر بها تعريني.. تنهش ظهري المغرق بالعرق.))[٢٠].

تثير هذه المذكرات عمقَ أزمةٍ وألمٍ، وإحساسٍ بعقدةِ سواد كأنها وصمة عار في أيام طفولة بريئة، تتحول تلك اللحظات إلى زمن موحش يضغط بقوة على إحساس الشخصية، غير أنه زمن متسمّر في مكانه، ولا يتحرك، كأنه قد أُمسِك به ليرمي بثقل محنته على هذه الشخصية التي تحملته مستسلمة له دون القدرة على تجاوزه، محولاً إياها إلى شخصية محبطة وخائفة تجاه هذا الزمن الماثل بالمرارة وثقل الوجود، فتتأطر تلك الشخصية في ذلك الموضع، بأُطر تزيد من انسحاقها وتجعلها وجهاً لوجه أمام وأدها وتشييئها.

تتجه هذا العبارات بعمقها العاطفي، وثقل لحظاتها الزمنية، لترسم شعور الطفولة آنذاك مُكبَّلاً بخيبات الشخصية من واقعها الطارد لها: ((قد يزجك الكويتيون في خانة مهنية معينة، أنت وحدك قادر على إثبات الخانة التي ترغبها، لذلك ستجد أبناء لونك يهرولون للانضمام لمجموع الكومباس [...] لا تحنق على ذلك الكومبارس الأسود [...] لا تحنق على نساء امتهنَّ احياء الحفلات في الكويت، فأصبحت بمعيتهن كل امرأة سوداء مشروع (طقاقة) اترك الغضب جانباً وفكر في انك قد تكون (مارتن لوثر كينج) آخر))[٢١].

إن هذا الاقتباس يلقي بالضوء على القوالب النمطية التي تنتظر بعض السود، فكل أسود هو مشروع كومبارس ليس له -إطلاقاً- أن يلعب دوراً رئيساً على خشبة مسرح واقعه، وكل سوداء هي مشروع (طقاقة)، فهذا ما يريده الآخرون له، أو هذا ما اتُفِقَ أن يكونوا عليه، نُسَخَاً متاحة من الممكن الاستغناء عنها؛ لأنها من الأدوار الثانوية. عانى (فوزي) بقسوة من هذا التشييء في طفولته وفي مقتبل حياته أيضاً، وهو الآن يخشى على ابنه (جمال) أن يمر بمرحلة التشييء نفسها، فيصير مجرد عبد، أو كومبارس.

إن لهذه المذكرات ثقلها الكبير في النص، فهي تحتل مساحة واسعة في المبنى السردي للرواية، تستجلي أزمة الشخصية في مرحلة طفولتها التي كانت بدايات انطلاقتها واتصالها بمجتمعها، وتستجلي أيضاً رواسب تلك الأزمة في القابل من أيام تلك الشخصيات وتداعياتها على تفاعله الاجتماعي، وللمذكرات في النصوص السردية أيضاً خصيصتان مهمتان، تتحدد الأولى في كونها ليست حواراً آنياً بين الشخصيات، أو فعلاً كلامياً وليد حادثة معينة تمر بها الشخصية، بل هي مذكرات شخصية دونتها في وقت ما من حياتها لم تكن فيه قادرة على الاستمرار مع آلامها واحباطاتها، فتدونها على الورق للتقليل من شديد وطأتها، وللتنفيس عن كبت مشاعرها، لذلك يكون للقصدية مكانة واضحة في كل كلمة فيها، وأن لكل كلمة ثقلها العاطفي لدى الشخصية، مما يمنح هذه المذكرات في النص الروائي أهمية لا يمكن تجاوزها بأي حالٍ من الأحوال. ثانياً: إن هذه المذكرات قد كتبها فوزي لطفله جمال قبل أن يفارق الحياة، لعلمه أنه سيواجه واقعاً مريراً قد يجهز على طفولته، ويغتال براءتها، ويشكله إلى مجرد عبد أسود، فهي مذكرات تستجلي أزمة التشييء العنصري وما تستدعيه تلك الأزمة من شعور بالإقصاء والوأد المجتمعي نتيجة عدم التماثل مع المجموع المُشكِّل للمحيط الحاوي للشخصية، عند ذلك لا يتولد لدى الشخصية المَقصيّة إحساس بالكبت للمشاعر فقط، بل أن صوتها سيتلاشى أيضاً في عالم الخضوع والتبعية، وسيُسْجَن جسدها في أُطُرٍ مجتمعية ثابتة. كما ان تلك المذكرات تترك المتلقي في تفاعل مستمر مع عباراتها، فهو يتلقاها واثقاً بصدق مشاعرها، فيتألم لتألم الشخصية، ويقلق لقلقها، ويغضب لغضبها أيضاً، وبذلك يتسيد عالم الرواية على العالم الحقيقي للمتلقي، مُحدِثاً أكبر قدر من التأثر فيه والتفاعل مع المتن السردي للرواية، وبالتالي يتحقق البعد الجمالي للنص السري في قدرته على تحقيق المتعة.

هذا، وقد جسَّدت أحداث الرواية لدى المتلقي صورة رمادية ومعتمة رُسِمَت في خياله، عندما أسقطت بظلال الخوف من التشييء والاضمحلال الذي تزامن مع الإحساس المستمر بالضياع والتشتت، ليعقد المتلقي أحكامه على رفض كل تناقضات مجتمعه، بعد أن بانت سلبياته بشكل واضح من خلال مجتمع الرواية، وهو

يتابع تسلسل الأحداث، ونمو الشخصية، وتوسع مداركها منذ الطفولة، وحتى المراحل التالية من عمرها، فتتحقق جمالية أخرى من ذلك تتحدد بالتشكيل الذي يخلقه المتلقي لإنجاز الشخصية وتكامل بنائها في مخيلته.

مثلها كانت رواية (ساق البامبو) التي تلقي بالضوء على الطفولة القاسية التي شهدتها الشخصية المحورية في الرواية (هوزيه أو عيسى) ذو الأب الكويتي "راشد الطاروف" والأم الفلبينية "جوزافين" التي قَدِمَت للعمل والخدمة في بيت الطاروف، بعد أن تتطور احداث الرواية فتقوم علاقة حب بين جوزافين و راشد، تنشأ عنها ولادة الطفل (هوزيه أو عيسى) الذي تختلف تسميته حسب مكان إقامته، الذي يمكث فيه من غير أن تتحقق له فيه أدنى اندماج أو تفاعل؛ كونها فضاءات طاردة للشخصية لا تمكنها من تحقيق ذاتها، بل تسحق كيانها وتميت كل أمل لها أو حلم مستقبلي.

إن هذه الرواية توجه متنها السردي لتمثيل معاناة أقلية مجتمعية باتت منسحقة في أكثر دول الخليج العربي، هذه الأقلية تحددت بطفولة الشخصية الروائية هوزيه، ليتضخم البعد الدلالي لهذه الطفولة في تشخيص محنة جماعية وتمثيلها تمثيلاً فنياً يترك المتلقي معه قادراً على التفاعل معها، وتوجيه مسار السرد بما يخدم الموضوع الرئيس للرواية المتجلي في تشخيص سلبيات الواقع المعيش للمتلقي، ورفده بأكبر قدر من الخبرات والعاطفة، بما يحقق الإمتاع والمنفعة في آن معاً.

تتحدد أولى دلالات النبذ للطفل هوزيه في أول يوم لولادته، عندما يجيء به والده راشد الطاروف إلى البيت وكلُّه أمل أن الجدَّة-والدة راشد-سوف تحتفي بالمولود الذكر الذي من الممكن أن تتقبله ،وتتقبل أمر زواجه من الفلبينية جوزافين طالما قد أثمر الزواج بولادة صبي، لكن ظن راشد لم يكن في محلَّه، ولم تتمكن الطفولة البريئة لهذا المولود من استدرار عطف الجدة وحنانها، فتطردهما من البيت في محاولة منها للتخلص-بظنها-من وصمة العار هذه التي قد تلحق بعائلة الطاروف إلى الأبد: ((دفعت أمي الصغير إليَّ وكأنه قنبلة توشك أن تنفجر! " الخاطبات الخاطبات " [...] أشارت بسبابتها إلى الباب المفضي إلى المرآب، خذ ابنك واخرج من هنا [...] وإيّاك أن تحضر هذا الشيء إلى هنا !))[٢٢].

يختزل هذا الموقف، لا سيما العبارة الأخيرة، محنة عيسى المتمثلة بالنبذ والإقصاء من قبل عائلته، على الرغم من كونه مُرغماً إرغاماً حقيقياً على هذا الوضع، إذ لم يكن من صنع يديه أن تكون ولادته من أبوين غير متماثلين في العقيدة، ولا في الثقافة ولا في الوطن. ولو حاولنا إلقاء نظرة أُخرى على نص الاقتباس السابق، لوجدنا أن العبارات المأزومة بالنسبة لعيسى قد انتهت بعلامة تعجب، مما يؤكد مدى إحساسه بالسلبية، التي نمت وكبرت معه. فاحساسه المأزوم هذا هو وليد شكله الذي يوحي بعدم انتمائه إلى مجتمعه الكويتي أو الفلبيني؛ لإحساسه المستمر بالاحتقار الذي يكفل بقاءه في الظل، ويجعله قابعاً تحت أغطية الدونية والانحطاط، فتبرز شخصية الطفل هوزيه في نصها السردي باهتة مستسلمة وساذجة[٢٣]، كون الواقع أكبر من أن تتجاوز تناقضاته التي تجعلها تشعر بالرضوخ والعجز إزاء القهر الموجَّه إليها، لذلك ليس لدى هذا الطفل من سبيل-عندما يكبر-إلا أن يعتاد الرضوخ، وأن يمتهنه بجدارة: ((رغم كل الظلم الذي أُعانيه اعتدتُ أن أُقابل الإساءة بالغفران، وأن أُدير خدي الأيسر لمن يصفع الأيمن))[٢٤].هذا الاستسلام والرضوخ ما هو إلا أحد دواعي

إحساس الشخصية بعدم التكافؤ مع الجماعة، واختلافها عن المجموع المتجانس في المجتمعين: الكويتي - انتماؤه من جهة أبيه-والفلبيني - انتماؤه من جهة أُمه – فهو منبوذٌ، أو غير مُرحَّبٌ به في المجتمعين كليهما؛ لافتقاره إلى التماثل الذي يتيح له الاندماج. هذا من جانب، ومن جانب آخر، يحيل هذا الأمر إلى التماهي الواضح بين المؤلف (سعود) والشخصية الرئيسة في النص الروائي (عيسى) بعد أن أوحى المؤلف بترك السرد لهذه الشخصية كي ترسم عالمها الورقي، وتخط معاناتها بيديها من غير إرغام أو تهميش.

المبحث الثالث- المستوى الديني

إن الانتماء الديني للفرد غالباً ما يحدد هويته، فالشخص يولد وينمو ويموت داخل جماعة دينية محددة، وإن هذا الانتماء يتحدد بالأساس بمصادفة الميلاد، فقناعات المرء المذهبية جزء من هويته، التي تكون غير قابلة للانفصال بأي شكل من الأشكال[٢٥].وقد تعزز هذا الانتماء بشكل واضح، وصار أكثر حساسية من ذي قبل عقب انهيار القومية العربية بعد تلاشي رموزها القوميين، فأصبح الدين الملاذ الرئيس للهوية في العالم العربي[٢٦]، إذ ظهر الإحياء الديني فور تصاعد فتيل الأزمة بين العرب وإسرائيل في حرب ١٩٦٧، ففي ذلك الوقت بدأ كل من المسلمين والمسيحيين واليهود بالنظر للحقائق من منظور ديني، إثرَ ذلك جاءت سنوات السبعينات إلى لبنان بالصراع الطائفي الذي غذّاه التذمُّر المحلي المتجاهل من لدن الحكومات اللبنانية، فضلاً عن تفاقم الوضع في فلسطين، الأمر الذي بلور إحساساً بالتواطؤ مع إسرائيل، ومع العالم الغربي المسيحي، مثيراً المخاوف حول عدم قدرة المسلمين على الوثوق بإخلاص أصحاب الديانات الأخرى للمصالح العربية[٢٧].هذا فيما يخص شعور الذات العربية ككل داخل حيزها الجغرافي، أما من جهة المؤسسة الدينية نفسها، فقد برزت مستثمرةً هذا التأزم والانشقاق معززة وجودها، عندما حاولت كل جماعة دينية أن تستجمع أفكارها ومعتقداتها، وتراثها الديني المؤثر، وحتى خبراتها، وتوظفها ميدانياً، في مرحلة جديدة لاستقطاب الأفراد حولها، وتأكيد حضورها الموازي للنظام السلطوي الحاكم في المنطقة العربية، وذلك بجعل الدين منظومة من الأفكار والإيماءات المنظَّمة، تسمح لها أن تعيد أمجادها السابقة بقيام دولة إسلامية داخل الأراضي العربية، وقد اتخذت آيديولوجيتها في ذلك على وفق استراتيجيات تفضي إلى تلقِّي التراث الديني (الأعراف أو الخاصيات الاجتماعية، والتأريخ) وإحاطته بهالة من القداسة تمنع عنه أي سبيل للمناقشة أو التعديل، مهما كانت تلك الأفكار خطيرة، أو منافية للعقل والطبيعة. وهذا ما حاولت رواية (الطائرة الخامسة) تسليط الضوء عليه، إذ تستجلي هذه الرواية حقيقة بعض المجتمعات العربية التي يسقط أفرادها، أو بعض فئاتها في سورة التطرف الديني، فهي رواية تحدد الخيوط الأولى لتشكل التطرف الديني وتقوم بتتبعه ابتداء من البداية وحتى تكامل التطرف الديني لدى الفرد، وتأزمه لدى الجماعة، وهي في طريقها إلى ذلك تعمد إلى انتهاك عالم الطفولة واختراقه، وزجِّ سمومها فيه، من أجل تشويهه وتزييف الحقائق لديه، أو تحويرها بما يلائم أهدافها ومراميها، وعندئذ سيتحقق لها تشييء هذا العالم البريء إلى فسحة سهلة التكييف، تمتص منه براءة أطفاله محولةً إياهم إلى وسيلة من وسائلها، أو أداة من أدواتها التي تمكنها من بسط نفوذها وتحقيق سلطتها عند تصارع السلطويات الأخرى السياسية أو القبلية مثلاً، غير أنها بذلك تكون قد عملت على سحق عالم الطفولة وقتلته، و وأدت كل أزاهيره الجميلة، عندما صيرته إلى شيء أكثر قبحاً، وأبعد عن جمال الطفولة.

كل ذلك يتتبعه المتلقي من خلال الشخصية البطلة (محمد العمر) هذه الشخصية تسكن مع عائلتها في مدينة الرياض، التي تنتقل فيما بعد للسكنى في مدينة الزلفي، فيترعرع محمد العمر في هذه المدينة من غير أن يندمج فيها تماماً: ((فأزقة الحي عليه محرمة، واللعب مع أقرانه خطر وشر محض [...] فالخوف الذي يمتلك والده ما هو إلا احتواء لبقاء سلوك محمد الذي رسمه له، وأن لا يؤثر الشارع على تصرفاته وأخلاقه بشكل مباشر من أطباع الدشير، فعمل والده حينها كـ ضابط أمني خشي عليه من الضياع بحكم ما يشاهده، وان بقاء محمد في المنزل هو الأسلم))[٢٨].

كان ذلك التخوف، والسجن في زنزانة البيت، في السنوات التي سبقت دخول الشخصية مدرستها النظامية، يعد المهاد الأول لنشوء الشخصية نشوءاً ملائماً لإمكانية حرف مسارها نحو التطرف الديني، كون الخارج غير واضح الملامح لها، فضلاً عن أنها غير متسلحة بشكل يمكنها من مجابهة أي تغيير يواجهها. وبذلك فإن منع والد محمد العمر من اقتحام ابنه محيطه الخارجي بكل حرية يجعل من اندماجه وتفاعله مع محيطه، أو تفحصه لذلك المحيط أمراً غير متحققاً، حتى أن وسيلته التي كان يرجو منها أن تمكنه من استكشاف واقعه، وهي دراجته التي خطط أن يتسكع بها في أزقة الحي في غياب والده، يسلبها أبوه منه، ويتركها في المزرعة حتى تُسرق منها بعد ذلك.

تشكل هذه الأحداث البدايات الأولى لنشأة محمد العمر الذي لم يكن مندمجاً كلياً مع محيطه المجتمعي والأسري أيضاً، وذلك للفجوة التي كانت بينه وبين أسرته، لاسيما والده الذي كان يتعامل معه بحدية وقسوة بعض الشيء، عدا علاقته الطيبة مع جدته التي كانت ملاذه الآمن، إذ كان يثق بها سارداً لها كل ما يدور في خلده، غير أن هذه الثقة بالجدة لم تستمر كثيراً، عندما وشت به إلى والده بشأن خروجه بالدراجة للشارع، مسببة في ذلك زيادة تطويقه وحرمانه. كل ذلك سبب له كبتاً نفسياً، واحساساً بالإقصاء خلف جدران البيت، وثورة داخلية كامنةً أساسها الرفض والتطلع لتمرد مستقبلي في وقت محدد، حينما تسنح له الفرصة.

تنشأ-ابان ذلك-بعض الحركات الدعوية الإصلاحية في بلد الشخصية/السعودية، إثر نزوح عدد كبير من الكويتيين إليها بعد حرب الخليج في التسعينات من القرن العشرين، وظهور بعض الانفتاح في المجتمع السعودي الكويتي، الذي يراه بعض شيوخ الدين بأنه تفسخ قيمي واخلاقي أساسه عدم الالتزام الديني للشعب الكويتي الذي سيلوث مجتمعهم. فتبرز أسماء لعلماء دين لهم العديد من الأتباع الذين يُسوِّقون لأفكارهم، مثل (سفر الحوالي، وسلمان العودة، وناصر العمر، وعائض القرني، وسعيد بن مسفر)[٢٩].

تنسحب قدم محمد العمر إلى التطرف الديني في أول خطوة يخطوها في طريق الاندماج بمجتمعه، وذلك عندما قام والده بتسجيله في مركز تدريب المتطوعين (الصغار والكبار) على حمل السلاح، والتدريب أيضاً على الفنون القتالية في نادي مرخ الرياضي في منطقة الزلفي: ((اختلط محمد بالمشتركين بكل فئاتهم، ففي فترة الراحة يجلس المتطوعون على طريقة الجماعات، وكان من بينهم بعض(المطاوعة) وهم ممن يتسمون بالتدين[...] كان محمد يستمع من أولئك لبعض ما يخص أوضاع الغزو))[٣٠].

في هذه الجلسات الحوارية يقوم بعض المتدينين بالترويج لأفكارهم الدينية من خلال المناقشات التي يثيرونها بشكل مقصود فيما بينهم، ومحاولة إشراك الجميع في إبداء الرأي، من أجل تحديد المناسب من أولئك المتطوعين واقناعهم بالانتساب إلى حركاتهم الدينية، وقد كانت تلك المناقشات تدور حول موضوعات مختلفة، أهمها قضية: الكويت والعراق في حربهما الخليجية الأولى، ومسألة الحرب الأهلية في لبنان، وحتى أزمة المسلمين في البوسنة والهرسك: ((قضية "البوسنة والهرسك" كانت إحدى الهموم التي يستعطف بها أولئك الدعاة قلوب العامة))[٣١]. وقيامهم بصرف الحوار إلى فكرة مؤداها أن أساس كل التأزمات التي تمر بها دول العالم العربي، ودول الخليج تحديداً، هي كثرة الذنوب والمعاصي للعباد، والترف والبذخ الذي أنساهم ذكر الله، وتأثرهم بالغرب الكافر-بزعمهم-أيضاً: ((أمتنا في وقت الشدة لا تلجأ إلى الله ولا تتوب ولا تستغفر ولا تتضرع وإنما تلجأ إلى الكفار وتجعل ثقتها بالكفار وفي كل مجلس تقريباً يقول الناس" مادام أمريكا موجودة فلا مشكلة" ولا أحد يقول " ما دام الله معنا" هل إلى هذا الحد وصل بنا الأمر إلى ضعف العقيدة))[٣٢]. ولم يكتفوا بذلك بل كان يقوم بعضهم بتوزيع أشرطة لمحاضرات شيوخهم الموصومون بالتطرف الديني، مستغلين سوء الأوضاع في المنطقة العربية، والعالم الإسلامي ككل، وانشغال الحكومات العربية بإطفاء نيران حروبها، للترويج لأفكارها وجمع أكبر عدد من الأتباع والمؤيدين.

بعد ذلك، يسجل محمد العمر في مراكز التدريب الصيفي في منطقته، تلك المراكز التي كان المشرفون عليها هم من الصحويين: ((تعتمد "التفريخ" الذي يستهدف الشباب في أعمار المراهقة في جذبهم بوسائل ترفيهية وفكاهية إلى جانب النصح الذي ينحني إلى طريق الإملاء لا النقاش))[٣٣]. هذه المراكز تعتمد-ظاهراً- على تعليم القرآن وتلاوته وتعليم أحكامه، غير أنها تبث سمومها الفكرية في عقول طلابها، وتعتمد أيضاً على مبدأ الانتقاء للطلاب الذين تجد فيهم الإمكانية الواضحة للإنظام إلى تنظيماتهم بشكل أعمى ومن غير نقاش أو جدال لممارساتهم المشبوهة، وهكذا فإنها تضمن توسيع نشاطها من مراكز صيفية لتعليم القرآن إلى منظمات أكبر تسمى (المكتبات) وحتى أوسع فأوسع، إلى أن يجد محمد العمر نفسه قد تشوه فكره ومعتقده بالفكر الديني المتطرف والمعادي للسلطة الحاكمة في بلده، عندما تتطور الأحداث والنشاطات لهذه المؤسسات الدينية التي ينتمي إليها، إلى القيام بحركات تمردية ثائرة على السلطة الحاكمة. والرواية بأكملها تحكي سلسلة انحرافه وتطرفه الديني، وهي أشبه بخارطة واضحة المعالم للمسارات المشبوهة التي تسلكها بعض المؤسسات الدينية المتطرفة لإغواء الأطفال أو المراهقين وقتل حس البراءة في نفوسهم، وإحلال الحقد والكراهية للآخرين محله، والاهداء الذي تصدر روايته يسلط الضوء على حقيقة مشاعر الندم التي يكنها بسبب ما سارت عليه الأمور لمشوار حياته الذي اتخذه، وخذلانه لوالده الذي أراد منه أن يكون مفخرةً لوطنه ولعائلته أيضاً.

هذه الرواية سلَّطت الضوء على تبلور العديد من الحركات الدينية المتطرفة التي اتخذت من السعودية رحِمَاً لها، ونقطة إنطلاق للعالم العربي ككل، ولمّا كان من الممكن أن نحمِّل الشخصية محمد العمر بعداً دلالياً أعمق في ترميزه إلى محنة فئوية أكبر منه، يكون من الممكن أيضاً أن نحمِّل البعد نفسه لفضاء الشخصية بجعله فضاءً يرمز لكل الدول العربية الإسلامية، كونه الرمز المقدس لها وقبلة شعوبها، فالخطر الموجه لها هو خطر موجه

للعروبة والإسلام أيضاً، فمن خلال السعودية يمكن نشر الفكر الجديد بسهولة إلى العالم الإسلامي أجمع، كونها قبلة المسلمين ومركزهم الديني. وهذا ما تجسَّد فعلياً أثناء قيام محمد العمر وبعض أتباعه بتوزيع المنشورات في الحرم المكي[٣٤]. كما أن الانغلاق الديني والفكري الذي نبهت إليه الرواية بشكل واضح في طفولة الشخصية محمد العمر يسلط الضوء بقوة على اتساع دلالي يشمل بين مضموناته فئة عمرية واسعة من الشباب الذين مثلتهم الرواية من خلال شخصيتها-كما تم بيانه مسبقاً-وهو ما يفسر السلبية والتبعية العمياء التي كانت عليها الشخصية، إذ كانت تتحرك بشكل منقاد لأوامر الجماعة الدينية المتحكمة بالكل المنضوي تحت إمرتها، وهذا الانقياد أبعدها كثيراً عن طفولتها البريئة في الصغر، وسلبها أيضاً مستقبلها في أن ترسمه كما تريد عندما كبرت، لذلك كتب محمد العمر روايته هذه بشكل مذكرات أودع فيها كل لحظات السلب والتأطير لشخصيته، بدءاً من سلبه حقه في التعرف على واقعه المحيط به في أيام طفولته، متمثلاً بسرقة دراجته، وحتى سلبه مساره الذي أراده له والده، وتغيير ذلك إلى مسارٍ جديدٍ عنه تماماً، ليقف عندئذ مستذكراً طفولته التي أُغتيلت، ومستقبله الذي ضاع.

الخاتمة:-

فيما يأتي نعرض أهم النتائج التي توصل إليها الباحث في هذه الدراسة، وهي:

- أثبتت النصوص الروائية المختارة اختراقها الواضح لحياتها التقليدية ومظاهرها المحافظة في مجتمعاتها التي انخلقت فيها.

- لم تعتمد الروايات في بناء شخصياتها على تقنية الحوار أو تقنية الراوي باختلاف تموقعاته، بل إنها تعدَّت ذلك إلى تقنية جديدة تنبع من تطور السرد وتقدم الاحداث، وهي سمة الصراع القائم بين الشخصيات، او الصراع الداخلي لدى الشخصية نفسها تجاه واقعها المرير الذي تعانيه، مما أسهم بدرجة كبيرة في إنجاز الشخصية وتشكلها في النص السردي.

- تحدد الشعور الواضح لدى الشخصيات عينة البحث بإحساسها باغتراب كان من دواعيه انعدام الثقة بكل ما يحيط بها، وتوقعها الأسوأ الذي يزيد خيبة أملها بالواقع.

- تجلى ضعف تعمق الشخصيات البطلة بالأمور والمتغيرات التي تجابهها، إذ إنها في كثير من الأحيان تخضع للانقياد بشكل طوعي دون أن تتفرس في باطن الأمور، بل تكتفي بظاهر الأشياء، ومرد ذلك – في تصوري – إلى تذبذبها وغياب اندماجها الكلي مع الواقع؛ جرّاء عدم تماثلها مع الكل المتجانس، مما يخلق لديها عدم قدرة على تمييز الأمور بشكل واضح وسليم، وغياب الحكمة في تعاطيها.

- اعتمدت النصوص الروائية في بناء سرد احداثها على رفد المتلقي بالأحداث بشكل دفعات متتالية، وحثه -المتلقي-على لملمة تلك الاحداث وربط خيوطها معاً، من أجل تكوين انطباعه العام عن النص، وعن الشخصية أيضاً، ويمكن القول إن الحدث قد تم على وفق دفعات سردية تحققت في النص، وأن المتلقي يمتثل معها امتثالاً محدداً يختلف باختلاف ثقافته وخبراته.

- منحت صفةُ الطفولة السردَ الروائي سمة الواقعية وجعلته يبدو أقرب إلى التصديق والحقيقة، فهي تمس حياة المتلقي، وتقترب من خبراته وتجربته مع الحياة.

- كان لقهر الشخصيات في مرحلة الطفولة واضطهادها تداعياته على حياتها المستقبلية، إذ إن إرهاصات ذلك الاضطهاد والقهر ظلت تستفز احساسها أو تحسسها من الواقع، مما حقق انكسارها وعدم اندماجها التام في المحيط المجتمعي لديها.

الهوامش:-

(١) لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، ط ٤، ٢٠٠٥، مادة (طفل).

(٢) العنف السياسي فلسفته – أصوله – أبعاده ، تيد هندريش ، ترجمة عبد الكريم محفوظ وعيسى طنوس ،دار المسيرة ،بيروت ط١، ١٩٨٦، ص٢٢- ٢٣.

(٣) إشكالات الأمن الثقافي، أسئلة في صناعة الدولة والهويات والمجتمع (مقال): علي فوَّاز، جريدة المدى، عدد ٢٠٣١، السنة الثامنة،٢شباط،٢٠١١، ص٨.

* مصطلح الإبادة الإثنية Ethnocide هو مصطلح حديث الظهور ،ابتدع خلال الستينيات من لدن علماء الأنثروبولوجيا المختصين في الدراسات الأمريكية، يدل على إنهاء الوجود المادي لشعب ما، أو التهديم النسقي لثقافة مجموعة، أي محو طرقها في التفكير أيضاً، بما يشكِّل نزع للثقافة إرادي ومبرمج. ينظر: مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية: دنيس كوش، ترجمة: منير السعيداني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت،٢٠٠٧، ص ١٠٢- ١٠٣ .

(٤) رواية حارس التبغ: علي بدر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان،٢٠٠٩،ص١٥٦-١٥٧.

(٥) المصدر نفسه، ص١٣٠.

(٦) المصدر نفسه ، ص ١٣٠.

(٧) المصدر نفسه ، ص ١٣١- ١٣٢ .

(٨) المصدر نفسه، ص١٣٠.

(٩) المصدر نفسه، ص ١٣٧.

(١٠) ينظر: المصدر نفسه، ص٩.

* إن من أهم الصفات الجوهرية المشكلة للهوية هي الاشتراك في اللغة والأدب والدين والأساطير والتاريخ، والاعتقاد الواحد، والشعور بالمصير الواحد، وغيرها من الصفات التي تُشعر الافراد أنهم يشكلون المجموع المتجانس والمتماهي مع بعضه. ينظر: الوطنية:ديفيد ميلر،ترجمة:داود عزاياقزندي(بالفارسية)، طهران، مؤسسة مطالعات ملي،٢٠٠٤،ص ٢٥ -٣٨. عن: العراق من صدمة الهوية إلى صحوة الهويات ،ص٣٥-٣٨. وينظر أيضاً: المبادئ الاساسية في الدراسات القومية(بالفارسية): حسين كودرزي، طهران انتشارات، تمدن،٢٠٠٥، ص ١٩، عن العراق من صدمة الهوية إلى صحوة الهويات ،٣٥.

(١١) ينظر: دراسات ما بعد الكولونيالية–المفاهيم الرئيسية- بيل أشكروفت وأخرون،ترجمة:أحمد الروبى وآخرون،المجلس القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٠ ، ص١٩٩-٢٠٠.

(١٢) ينظر: نقد النص: علي حرب، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،٢٠٠٨،ط ٥، ص١٩٠.

(١٣) رواية: لأني أسود، سعداء الدعَّاس، الكويت، ط١ ،٢٠١٠، ص١

(١٤) المصدر نفسه،ص٢

(١٥) المصدر نفسه، ص٣.

(١٦) المصدر نفسه،ص٦٩.

(١٧) المصدر نفسه، ص١٠٨.

(١٨) المصدر نفسه، ص١٠٩.

(١٩) المصدر نفسه، ص١٤٣.

(٢٠) المصدر نفسه، ص١٤٣-١٤٤.

(٢١) المصدر نفسه،ص١٤٢-١٤٣.

(٢٢) رواية: ساق البامبو: سعود السنعوسي، الدار العربية للعلوم ناشرون – بيروت ،٢٠١٢، الدار العربية للعلوم ناشرون – بيروت ،٢٠١٢، ص ٧٤- ٧٥ .

(٢٣) ينظر: ساق البامبو إشكالية الهوية والاغتراب (مقال) عامر هاشم الصفَّار، الحوار المتمدن، ع ٤٠٨٨- ٥/٢٠١٣ / ١٠ ، المحور: الادب والفن.

(٢٤) الرواية: ص ٦٥.

(٢٥) ينظر: تطور الهوية الأمريكية العربية، تحرير: إيرنست ماك كاروس، ترجمة: أمل الشرقي، دار النسر للنشر والتوزيع، عمان-الاردن ،١٩٩٨، ص ٦٢. وينظر أيضاً: دينٌ ضد الدين: علي شريعتي، ترجمة: حيدر مجيد، مؤسسة العطَّار الثقافية، ٢٠٠٧، ص ٢٦ .

(٢٦) ينظر: اللغة والهوية: جون جوزيف، ترجمة: عبد النور خراقي، عالم المعرفة، الكويت، رقم الكتاب ٣٤٢ ، ٢٠٠٧ ، ص ٢٩٢.

(٢٧) ينظر: تطور الهوية الأمريكية العربية، ص ٦١

(٢٨) رواية الطائرة الخامسة: أوراق إرهابي فاتته رحلة افغانستان، محمد العُمَر،دار مدارك للنشر،٢٠١٣ ، ص١٣

(٢٩) ينظر المصدر نفسه، ص٢٥-٢٦.

(٣٠) المصدر نفسه، ص٢٩.

(٣١) المصدر نفسه، ص٣٤.

(٣٢) المصدر نفسه، ص٣٠.

(٣٣) المصدر نفسه، ص٤١.

(٣٤) ينظر: المصدر نفسه، ص١١٦.

المصادر

الروايات:-

- حارس التبغ: علي بدر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان،٢٠٠٩.
- ساق البامبو: سعود السنعوسي، الدار العربية للعلوم ناشرون – بيروت ،٢٠١٢، الدار العربية للعلوم ناشرون – بيروت ،٢٠١٢.
- الطائرة الخامسة: أوراق إرهابي فاتته رحلة افغانستان، محمد العُمَر، دار مدارك للنشر، ٢٠١٣.
- لأني أسود، سعداء الدعَّاس، الكويت، ط١ ،٢٠١٠.

الكتب العربية والدوريات:-

- إشكالات الأمن الثقافي، أسئلة في صناعة الدولة والهويات والمجتمع (مقال): علي فوَّاز، جريدة المدى، عدد ٢٠٣١، السنة الثامنة،٢شباط،٢٠١١.
- تطور الهوية الأمريكية العربية، تحرير: إيرنست ماك كاروس، ترجمة: أمل الشرقي، دار النسر للنشر والتوزيع، عمان-الاردن ،١٩٩٨.
- دراسات ما بعد الكولونيالية–المفاهيم الرئيسية- بيل أشكروفت وأخرون،ترجمة:أحمد الروبى وآخرون،المجلس القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٠.
- دينٌ ضد الدين: علي شريعتي، ترجمة: حيدر مجيد، مؤسسة العطَّار الثقافية، ٢٠٠٧.
- ساق البامبو إشكالية الهوية والاغتراب (مقال) عامر هاشم الصفَّار، الحوار المتمدن، ع ٤٠٨٨- ٥/٢٠١٣ / ١٠ ، المحور: الادب والفن.
- العراق من صدمة الهوية إلى صحوة الهويات: علي طاهر الحمود،مؤسسة مسارات،بغداد – بيروت،٢٠١٢ .
- العنف السياسي فلسفته – أصوله – أبعاده ، تيد هندريش ، ترجمة عبد الكريم محفوظ وعيسى طنوس، دار المسيرة ،بيروت ط١، ١٩٨٦.
- لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، ط ٤، ٢٠٠٥.
- اللغة والهوية: جون جوزيف، ترجمة: عبد النور خراقي، عالم المعرفة، الكويت، رقم الكتاب ٣٤٢ ، ٢٠٠٧.
- مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية: دنيس كوش، ترجمة: منير السعيداني، المنظمة العربية للترجمة،بيروت،٢٠٠٧.
- نقد النص: علي حرب، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،٢٠٠٨،ط ٥.